الشتات مجددا

محمد القيسي

رقاع مهملة

إبنٌ لِهَذي الرِّيح
قنطرةُ الفَراغِ يَدي
وَقَلبي سُنْبُلَهْ

وَأَدورُ حَوْلي
والبلادُ سَلاسِلٌ
في حِكْمَةٍ صَفراءَ تلمعُ
أَو
رقاعٍ
مُهْمَلَهْ.

عمان ١٩٩٤/١٠/٢٣

المشاء

لا أَدَّعي الفِطْنَهْ
لكنَّني أَمشي
وَأَحارُ بَيْنَ الفَرْضِ وَالسُّنَّهْ
أَمشي وَيَنْقَشِعُ الضبابُ
وَلا أَرى
غيرَ اتِساعِ الغَمْرِ في هَذا المُحيطِ
وَرَفْرَفَاتِ نَوارسِ الفِتْنَهْ.

عمان ١٩٩٤/١١/١

مواصلات

هَواتِفُ منْ أَقاصي الأَرضِ
تَأْتيني عَلى عَجَلِ
هَوَاتِفُ تَبْتَدي
أَو تَنتهي
لِتَشيلَني في الذَبْذَباتِ إلى
مَجَاهِلَ عندَ فَاسٍ
أَو جِوارَ البَحرِ في بَيروتَ
بَيْنَا
أَنتِ
لَمْ
تَصِلي.

عمان ١٩٩٤/١١/١

أسير النشيد

وَأَمرُّ عَنِ السَّاحَةِ الهَاشميّةِ
حَيثُ طَريقي
إلى أَيِّ مَقهَى

الشَوَارِعُ تقدحُ يَومي
وَلا وَمْضَةٌ
وَأَسيرُ النَشيدِ يُسَلْسِلُني
زَفْرَةً
زَفْرَةً

في حَلَقَاتِ الدُخانِ
وَيَنْحَلُ كَالْبَانِ
يَنْحَلُ رُوحاً
وَيَنْحَلُ وَجْهَا

قُلْ بِأَيِّ الرَوَى نَحْتَمي
يَا عليليَ،
أَوْ نَتَلَهَّى

عمان ١٩٩٤/١١/٢

لا ورد في روما

لا وَرْدَ في رُوما
لأَحْمِلَهُ إليكِ
وَحيثُ أَحضرُ لا وُرُودُ

لأَشمَّ رُوحَكِ في التُّويْجِ
وَأَنثني خَطْفاً
وَأَعرفَ ما أُريدُ

خَلْفَ المُشَاةِ أَصيحُ بي:
هلْ مرَّ «ماجدُ»[1] مِنْ هُنا
وَتَنَاوَشَتْهُ النَائباتُ
وَضَاقَ عنْ دَمِنا الوَريدُ
وَهَلِ اشْتَرى منْ هَذه الدُكَّانِ «وَائلُ»[2]
وَجْبَةً لِمَسائِهِ
وَصَحيفَةً
وَمَشَى إلى بَابٍ يُدَجِّجُهُ الغُموضُ
وَلَمْ يُكَلِّمْهُ البَعيدُ

لا وَرْدَ في رُوما لأَحْمِلَهُ إليكِ

(١) ماجد أبو شرار، اغتاله «الموساد» الإسرائيلي في روما مطلع الثمانينات.
(٢) وائل زعيتر، اغتاله الموساد في روما مطلع السبعينات.

وَحَيثُ أَحضرُ
لا وُرودُ

لا ثَمَّ إلاَّ النَمْنَماتُ عَلى رُؤوسِ
أَصابعي
وَفُسيفِسَاءُ دَمي القَديمِ
وُحُرقتي هَذا البَريدُ.

روما ١٩٩٤/١١/٢٢

أهل الريح

لأَنام في عَينيكِ يَلْزمُني بِلادٌ
لا تُزَنِّرُهَا حُدودُ

لَيتَ البَراري لا تَظلُّ سَريرَنَا
لِنَرى حَنانَ البَيتِ في عُشْبِ السُطُوحِ.
هُناكَ دُوريٌّ يُجمِّعُ قشَّه أَعلى الجِدارِ
وَقُبَّراتٌ كنتُ أَتبعُها
وَصبِيَّانٌ مَضَوْا نحوَ الكُهولَةِ
لنْ يَعودوا

في أُسْرَتي
تَفتَّحَ الرُمَّانُ مَجْرُوحاً
وَلكنّي وَحيدُ

مَا كَانَ أَهلُ الرّيحِ يَشْتجِرُونَ
عندَ ضُحَى البَنفْسَجِ
أَو
يُكَبْكِبُهمْ جَليدُ
سَنُّوا أَغَانيهمْ عَلى نَارِ العَشيَّةِ
ظَاعِنينَ، فَقلتُ أَتبعُهمْ إِلى
مَا شَاءَ لي قَلبي
وَمَا شَاءَ النَشيدُ

ظَعَنُوا وَ لي في الظَاعِنينَ حَمامَةٌ
هَدَلَتْ بِلَيْلٍ مريضِها
وَمريضُها قلبي
وَقَدْ عَزَفَ الرُعَاةُ لَهُ
فَأَشْجَاهُ البَعيدُ

وَصَلُوا وَمَا وَصَلوا طَريقاً في الطَريقِ
إِلى مَنَازلِهمْ
وَلاَ نَايَاتُهمْ
ظَلَّتْ تجودُ

هَلْ تَسْرُدُ الأَيامُ حُلْكَتَها
وَيُفشي سِرُّهُ لِلَّيلِ لَيْلٌ
في جِهَاتِ الرُوحِ سُلَّمُهُ مَديدُ

لأَنامَ في عَينيكِ يَلْزَمُني بِلادٌ
لا تُزنِّرُهَا حُدودُ.

لندن ١٩٩٤/١١/٢٨

في كفتيريا المساء الأخير من العام

وَفي كَفتِيريَا المسَاءِ الأَخيرِ مِنَ العَامِ
كُنتُ انتَظَرتُ:
ثَلاثِينَ سَطْرَاً مِنَ الشِعْرِ
سَبِيجَارةً
نِصْفَ كُوبٍ
مِنَ القَهْوَةِ المُرَّةِ
قَبلَ تَسَاقُطِ عِنَّابِهَا

وَقَبلَ تَلوحُ مِنَ البابِ عَبْرَ الزُجَاجِ
وتَنظرُني
تَحتَ قُبَّةِ نفْسي
أُعَدِّدُ كَمْ ريشَةً سَقَطَتْ
منْ جَنَاحيَ
كَمْ جَدولاً
رَقْرَقَ الريحَ وَالرُّوحَ
حَولَ بَسَاتينِ أَكوابِهَا

وَكَانَ يَمامٌ غَريبٌ يَحُطُّ عَلى
شُرْفَةٍ في البَعيدِ
وَيَهوي
عَلى
بَابِهَا

تُطَوِّحُني زُرْقَةٌ
أَيُّها اليَاسِمِينُ وَانتَ تُواصِلُني
مَلِكاً في الفَراغِ العَميمِ مِنَ اللَّهِ
أَجْلو الغُيومَ
وأَسْكُنُ
أَقْيَاءَ
أَهْدابِهَا
وَهَا هيَ تَجلسُ قُرْبَ رمَاديَ
في كَفتِيريَا المساءِ الأَخيرِ
وَتَشْرَحُ لي
بِالقَليلِ مِنَ الصَمْتِ
جُمْلَةَ
أَسْبَابِهَا!

لندن ١٩٩٤/١٢/٣١

يوم قليل البهجة وأمشي بقية أغنيتي

١

هَاتفٌ خَاطِفٌ في الصَباح بلا نَمْنَماتٍ
دَقائقُ في مَوْقفِ البَاصِ
أَطْولُ ممّا عَهِدْتُ
كَأَنَّ الأُمورَ تُخبِّئُ لي سَهْمَ آخيلَ
تَحتَ القِنَاعِ
كَأَنَّ قَميصَ الوَدَاعِ
يُجلِّلُني في الطَريقِ إِلى بَيتِ أُمي
انْتَبهتُ إِلى وحدَتي
حينَ لاحَتْ لِعَينيَّ في
شَالِها اللَيلكيِّ

وَنَحَّيْتُ هَمّي.

صَعَدْنا إلى شارعِ الأربعاءِ
نُقلِّبُ أيامَنا دُونَ زَخْرفَةٍ
وَنُشيرُ إلى ياسَمينِ السياجِ
وَحيدَيْنِ كُنّا
وَكانَ يَطيرُ الحَمامُ
يَسيرُ الكَلامُ إلى خارجِ الكَلِماتِ
قليلٌ مِنَ المُبهجاتِ
قَليلٌ مِنَ اليَومِ في اليَومِ لي.

٢

مَطَرٌ كانَ يَرشُقُ وَجهي
وَكانَ زُجاجُ النَوافِذِ
يَغرقُ خَلفَ عَزيفِ الرِيَاحِ
غُبارٌ عَلى طَرَفِ القلبِ
كانَ يُغطّي الحديثَ وَلا
بَرقَ يلمعُ في لَيلِ هَذا الموشّحِ
لا أُغنياتٍ تُرَفْرِفُ حَوْلَ أَصابِعِهَا
أَو يَفيضُ بها
جَدْولي.

٣

هل أُديرُ الظَهيرةَ كَيفَ أَتَتْ
وَأَعودُ إلى منزلي
لأرى هَلْ أُعِدَّ تماماً
كمَا يَنبغي لِغيابي القَريبِ
وَهَلْ يَتألمُ هَذا الممَرُّ الطَويلُ
إلى البَابِ في خُطُواتي
هَذا السَريرُ وَقَدْ رَتَّبَتْهُ يَداهَا
وَكُوبَا النَبيذِ
وَقَدْ فَرَغَا أَمْسِ مِنّا
الأَوَاني القَليلةُ
والمقعدَانِ الوَحيدانِ..؟
مَنْ سَيكونُ مَعي
حينَ أُفْضي إليَّ
وأُطبقُ خَلْفِيَ بَابي!
أَطْولُ مما توقَّعْتُ ليلُ الهوى
وَنَهاري
لا يَنْجلي.

٤

سَأُديرُ الظهيرةَ وَحدي
أُطِلُّ على سَعَفٍ
منْ قَديمِ نَخيلي
أَنا وَقَليلي
وأَمشي
بِقيَّةَ
أُغْنِيَتي..!

لندن ١٨/١/١٩٩٥

ابنة خالي

تحتَ أَيِّ القِبَابِ كَتَبنا النَشيدَ
إلى البيتِ
يَا ابْنَةَ خَالي

مَرَّ عِشْرون بَحراً مُقَفًّى
وَعِشْرونَ منْفَى
وَمَرْمَر حَالُكِ حَالي

هَلْ يَطولُ نَحيبُ الطُبولِ
وَتَنأى هَوَادِجُنَا تحتَ قَاعِ الغُبارِ
وَلا مَنْ يُبالي!

آهِ يا ابْنَةَ خَالي
لاَ زِفَافُكِ حَانَ
وَلا بَانَ ضَوْءُ هِلالِ
إِبْكِ مَا رَانَ صَمْتٌ
وَغَنِّي لَنا وَتَرٌ
وَادْلَهمَّتْ لَيالي
إِبْكِ عنّي القَليلَ مِنَ الدَّمْعِ
حَتى أعودَ إلى ما تَبقَّى
مِنَ الأَرضِ يَوماً
وَأُنهي ارْتِحَالي

آهِ يا ابنةَ خَالي

تَحتَ أيِّ القِبابِ كَتبنَا النَشيدَ إلى البَيتِ
وَانْطَفَأَتْ في الطَريقِ قناديلُنَا
وَفَقَدْنَا اللآلي!

لندن ٢٤/١/١٩٩٥

في المطار

ثلاث محاولات لصياغة المزمار

١

يُوصِلُني بَابَانِ إلى بَيتي
الأَولُ سَدَّتْهُ الرِّيحْ
وَالثاني صَمتي!

٢

يُوصِلُني بَابَانِ إلى سَكَني
الأَوَّلُ نَسِيَتْهُ الرِّيحْ
وَالثاني شَجني!

٣

يُوصِلُني بَابَانِ إلى دَاري
الأَوَّلُ خَلَعَتْهُ الرِّيحْ
وَالثاني مِزْمَاري!

لندن ٨/٢/١٩٩٥